والسؤال يحلق في الزمن الإسلامي ليحط في كل عصر ليسأل المسلمين على لسان العقيلة عليها السلام.

«أتبكون؟!». إنه سؤال موجه للضمير المسلم، سؤال ينفض الغبار عن المسؤولية في داخل كل مسلم. بالنسبة لنا اليوم سؤال السيدة زينب عليها السلام يتمحور حول كربلاء الرسالة في واقعنا، فكل نفس مسلمة وكل عرض ومال وكل أرض (إسلامية) تنتهك في هذا الزمان، هي ظلم للحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، والإسلام الذي يفرض علينا مودتهم المودة الحقة والرسالية لا المودة كخلجة من خلجات القلب بل روح تشع بنور الولاية الإسلامية.

وتقرب «العالمة غير المعلمة» لنا جميعاً هذا المشهد السلبي بلغة قرآنية صلبة.

«إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً»... وترجع لتؤصل السؤال وتفضح النفاق في النفس المعجبة بوهمها. «أتبكون وتنتحبون؟! إي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً».

تعالوا نقتحم هذه الكلمات العظيمة باقتضاب وبمودة أكثر لقائلتها بعيداً عن اليأس والخنوع والتنكر للحقيقة الساطعة في ثنايا كلامهم عليهم السلام جميعاً.

إنّ السيدة زينب عليها السلام تريدنا أن نرتب حياتنا وفق الإسلام لتكون مواقفنا إسلامية، فنفرح إسلامياً ونحزن إسلامياً. والحزن والفرح في المعجم الإسلامي هو المسؤولية الرسالية الثابتة ثبات اليقين الإسلامي في وجداننا لا ذلك الحزن الإعتباطي والفرح التقليدي، بل هما الإحساس الذي يقرأ الواقع فيكشف زيفه ويحدد مواطن الخلل فيه، فيتوجه نحو التخطيط للتغيير والبناء للإصلاح والتطلع للشهادة الرسالية.

وتبقى «الفهمة غير المفهمة عليها السلام» ترسم لنا النموذجية الرسالية للمرأة أولاً وللرجل دائماً، حيث تواجه الواقع السياسي المستكبر المجرم بكل دقة وحكمة وشجاعة ولا تنفعل باستفزازات المستكبرين، كانت تدقق في كل ذلك الواقع وتجعل موقفها وراء عقلها الإيماني وثقافتها الإسلامية السياسية. فهذا الشقي ابن زياد انفعل من ترفع السيدة زينب عليها السلام عن تهكمه في مجلسه، فاندفع يخاطبها غاضباً شامتاً: «الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم!!».

هنا وقفت السيدة زينب عليها السلام لممارسة دورها في الثورة الإسلامية الرائدة مؤكدة الموقعية العظيمة أهل البيت عليهم السلام في حياة الأمة كلها، مسقطة كل هالة السلطة الظالمة فردت على الفاسق الفاجر قائلة: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله، وطهرنا من الرجس تطهيرا، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا يا ابن مرجانة». فبهت الذي كفر سائلاً: «كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟».

فسطعت العقيدة الثابتة الراسخة النقية المطهرة، كالشمس لتطرد الظلام وتنشر نور الإيمان: «ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ؟ ثكلتك أمك يا ابن مرجانة».

ونتأمل بعد ذلك بدقة، الشروق الزينبي في أسمى وأبهى عفته وشجاعته ورساليته في مجلس يزيد الملعون، حيث انفتح على هدم أركان هذه السلطة الظالمة ونفذت عليها السلام إلى نفض التمويه السياسي الذي صنعه ابن الطلقاء في عقول العوام فعرجت على التاريخ الإسلامي بمنهج قرآني راقي يثبت ليزيد الفرعون وابن زياد الهامان أن لها عن الشجاعة لشغلاً وشغلها كمرأة مسلمة مسؤولة هو فوق الشجاعة التجريدية بل إنه شجاعة رسالية ثقافتها قرآنية، ومنهجها محمدي علوي فاطمي حسني حسيني، ووصلت بفقاهتها السياسية إلى واقعة كربلاء واستخلصت بإيمان قوي صلب شامخ نقي قائلة للجور والظلم السياسي عبر الزمن الإسلامي كله: «... فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها...». في هذه الفقرة من خطاب السيدة زينب عليها السلام يقين ثابت وإخلاص محض للإسلام كله بأن المستقبل للإسلام الأصيل الذي يقف في وجه الاستبداد كله والظلم كله والفجور كله، وإن الخطاب يستبطن استشراف إسلامي إستراتيجي للمستقبل المنتظر، وحاشاها أن تقسم بالله انفعالاً، وهي التي أقسمت موقفاً ورسالة قبل أن تقسم قولاً، لقد أقسمت لتحرك الإنسان الرسالي ليعمل على تحريك الإسلام في العالم من خلال ما زودته به هذه المرأة الرسالية العظيمة «العقيلة العالمة الفهمة غير المعلمة وغير المفهمة»، من ثقافة قرآنية إمامية إسلامية حركية. وتبقى مشكلة المسلمين أنهم لا يتعلمون الإسلام من نماذجه العظيمة ولا يعيشونه في أصالته ورحابته ورسالته.

أيتها الأخت المسلمة، كوني قوية ولا تخضعي للمستكبر في كل صوره الثقافية والاجتماعية والسياسية والأمنية، وإذا أردت فعلاً أن تكوني قوية فانفتحي على العقيلة عليها السلام وادخلي صفها الإسلامي المليء بالعلم والحكمة والأخلاق الكريمة والروحية العظيمة، هنا في رحاب السيدة الطاهرة زينب عليها السلام تتربّى الأجيال الرسالية الطامحة للحاق بجامعة العصمة والإمامة الكبرى، السيدة زينب عليها السلام مقرر إسلامي لابدّ منه للمرأة أكثر وأعمق لأنّ دور المرأة في المجتمع الإسلامي الإنساني مصيري وحساس لا يختلف عن دور الرجل من حيث المسؤولية الرسالية في الحياة ذات الخط الإسلامي، والسير مع زينب عليها السلام يغني إسلامنا رجالاً ونساءاً فكرياً وعاطفةً وحركةً ومنهجاً ووسيلةً وهدفاً.

هذه هي زينب عليها السلام التي هي أمة بمواقفها وكلماتها كما لو أنها معنا الآن، نزورها سياسياً واجتماعياً وثقافياً، لنصلح كل ما نعيشه من فساد ومشاكل في بيوتنا ومجتمعاتنا، وما نواجهه من قضايا في علاقاتنا، سنجد عندها الحل والتخطيط والإدارة والتطلع، لأنها انطلقت من الثقلين، وفي رحاب الثقلين لن تظلوا أبداً. والحمد لله رب العالمين.